٩- الأفراح فى مصر الحديثة بين الاستمرارية والتغير

"صفحة من تاريخ مصر الاجتماعى فى القرنين التاسع عشر والعشرين"

على الرغم مما اتسمت به الحياة الاجتماعية فى مصر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين من ايقاع شرقى يتميز بالثبات والاستقرار والبطء فى التغيير. ومع أن الشعب المصرى يعد من أكثر شعوب العالم تمسكا بعاداته وتقاليده وتراثه فإن ما حدث فى السنوات الأخيرة من متغيرات حضارية مثل زيادة نسبة التعليم بين الإناث والذكور، ومثل ما أدخلته وسائل المدنية الحديثة من أجهزة ووسائل اتصالات وفضائيات قد هز الكثير من هذه الأوضاع واستطاع النفاذ خلف ستار التقاليد السميك مما أدى إلى ذبول بعض العادات القديمة المتوارثة، واستبدالها بعادات جديدة وافدة، ومن هذه العادات ما يحدث حاليا فى تقاليد الزواج والأفراح فبعد أن كان المصريون يزوجون أولادهم فى سن مبكرة، إذ لا يكاد الفتى يبلغ الحلم حتى تبحث له أسرته عن بنت الحلال، فإنه بعد انتشار التعليم بين الإناث والذكور لم تعد فكرة الزواج المبكر مطروحة إلا نادرا، وبعد أن كان المصريون يتمسكون بضرورة زواج الأقارب فقد توقفوا عن ذلك بعد أن ثبتت أضراره طبيا خاصة إنجاب الأطفال، وبعد أن كان الأهل يتحكمون فى اختيار زوجة الابن التى كانت تختار له أحيانا منذ الطفولة فقد أصبح هذا الاختيار من حق العروس والعريس معا، وبعد أن كان زواج أحد أبناء البلدة أو الحى أمر يخص أبناء الحى جميعا لا الأسرة وحدها، فقد اقتصر أمر عقد معظم حفلات الزفاف على الفنادق والأندية بعد أن ضاقت البيوت عن استقبال المدعوين.

وبعد أن كانت هناك ضرورة لحضور البلانة مع العروس فى ليلة زفافها فقد تلاشت مثل هذه العادة التقليدية، وبعد أن كانت الخياطة من الشخصيات التى يتردد قدومها على بيت العروس لاختيار تفصيله فستان الزفاف، فإن عادة شراء ثوب الزفاف جاهزا أصبح معروفا، وبعد أن كانت الصديقات والقريبات يقمن بدور تجميل العروس وتزويقها أصبح الكوافير الآن يؤدى نفس هذا الدور، وبعد أن كان توزيع علب الملبس وأكواب الشربات الأحمر القانى وسط هرج وضجيج الأطفال من العادات المألوفة

فى الأفراح فقد أندثرت هذه العادة، ولم يعد لها مكان خاصة ، خاصة فى الفنادق التى لا يدعى إليها الأطفال طبقا لأنظمتها المتبعة.

وفيما يلى نعرض لعادات وتقاليد المصريين فى الزواج ابتداء من الخطوبة وحتى الزفاف منذ أن شاهدها المستشرق الانجليزى إدوارد وليم لين[١]، وأخته صوفيا[٢]، خلال عصر محمد على حيث كان القديم الموروث لا يزال قائما وكانت مصر لا تزال تنسب إلى مجتمعات العصور الوسطى فى الكثير من مناحى حياتها. ثم ما طرأ على ذلك من مستحدثات وتغييرات فى عهد خلفاء محمد على حتى نصل إلى ما هى عليه الآن.

أولا: مرحلة الخطوبة:

تحدث لين عن الخاطبة ودورها فى مهمة البحث عن العروس فذكر أنها كانت تحترف مهنة الدلالة التى تبيع الحلى والملابس النسائية حتى يسهل عليها الدخول إلى قلاع الحريم، ومساعدة الرجال فى اختيار العروس الملائمة نظير أجر معلوم، وكانت العادة أن تذهب أم الخاطب وبعض قريباته مع الخاطبة لزيارة عدة بيوت، باعتبارهن زائرات فقط، وقد لا يلبثن طويلا إذا لم يصادفن مرادهن، ويفهم الطرف الآخر طبعا القصد من الزيارة ولكن إذا سمعن أن من بين نساء المنزل فتاة تتحلى بالصفات المطلوبة يكشفن عن قصدهن ويستفهمن عن أحوال الفتاة التى يقع عليها الاختيار وعما تملكه من حال أو متاع.

ولما كان غير متبع خلال هذه الفترة رؤية أسرة الخاطب من النساء للعروس إلا بعد زفافها فقد كانت الخاطبة غالبا هى مصدرهم، فى وصف الفتيات، التى كثير ما تبالغ فى وصفهن، وإلى جانب ذلك فقد كانت الخاطبة تبالغ لدى أسرة الفتاة فى وصف الشاب الراغب فى الزواج بما ليس فيه أحيانا فتصفه بلطف المعاشرة والأناقة والثراء وحب الترف والكرم، والرغبة فى الملاطفة والدلال حتى تتمكن من الحصول على موافقة العروس وأسرتها، وبعد

---

(1) زار لين مصر ثلاث مرات كانت الأولى فى أواخر عام ١٨٢٥م وكان وقتذاك شابا فى الرابعة والعشرين من عمره جاء ليدرس حضارة قدماء المصريين، ولكن القاهرة التى استولت على لبه وشعبها الذى شغف بالعيش معه جعله يرى أن دراسة الأحياء امتع له وألذ من دراسة تاريخ الأموات مما صرفه عن قدماء المصريين إلى الكتابة عن أحفادهم. واستمر لين بمصر ثلاث سنوات يدرس حياة الناس كما يدرس اللغة العربية حتى تملك ناصيتها كتابة ومحادثة وبعدها عاد إلى انجلترا فى أواخر عام ١٨٢٨ بعد أن درس الحياة فى القاهرة دراسة مستوفاة، وجمع فى مخطوطاته مسودة كتابه الذى صدر بعنوان The Manners and Customs of the Modern Egyptians. ورغبة من لين فى الاستزادة ببعض المعلومات عاد إلى مصر فى عام ١٨٣٣ حتى يمد بعض الثغرات فى كتابه، ولما رجع إلى انجلترا أصدر هذا الكتاب. أما الزيارة الثالثة فكانت فى عام ١٨٤٢ وكان هدفها الإعداد لمعجم عربى شامل. للتفاصيل انظر: نجيب العقيقى: المستشرقون ، جـ٢، ص ٤٨٠.

(2) صحبت أخيها أدوارد خلال زيارته لمصر، ولها دراسة عن الجوانب والأسرار الخفية من أمور الحريم فى أسرة محمد على وغيرها تفوق فى غزارتها أى مصدر آخر ويتضح ذلك من كتابها الى ظهرت طبعته الأولى فى عام ١٨٤٤ تحت عنوان: The English Woman In Egypt قامت الدكتورة عزة كراره بترجمته فى عام ١٩٩٩: تحت عنوان حريم محمد على باشا.

أن تستعلم الزائرات عن أحوال العروس يقدمن تقريرهن إلى الراغب فى الزواج فإذا رضى بذلك البيان يقدم إلى الخاطبة هدية، ويرسلها ثانية إلى عائلة الفتاة لتعرفهن رغباته.[١]

واستمرت هذه الأمور على حالها حتى أوائل القرن العشرين تقريبا، حيث بدأ بعضها فى التغير فقد اتسع دور الخاطبة، وازدادت معرفتها بأخبار الفتيات الراغبات فى الزواج حيث كانت تزور البيوت تتصل بالأمهات وتسأل عن الشابات فى سن الزواج، وتتعرف أخبارها وتقف على رأى الأم فى الزوج الذى تبتغيه لابنتها إذا ما سهل الله لها بابن الحلال، وكانت الأم تؤكد على الخاطبة أن تكثر فى التردد عليها وتوعدها بأنها ستعطيها ما تريد من المال إذا جاءت لابنتها بالعريس المنشود، وبعد ذلك تذهب الخاطبة إلى منازل الأسر التى بها شباب يريدون الزواج، وتكون واسطة بين أهل الزوج والزوجة فى تعريف هؤلاء بأولئك وكانت أحيانا تبالغ فى وصف حال الفتاة وأصلها فتقول مثلا ان لها وجه مدور كالصنية، وعيونها عيون الغزلان، وفمها خاتم سلمان وصدرها بيض نعام وأنفها مثل النبقة، وأسنانها لؤلؤ، وانها إذا تكلمت تناثر اللؤلؤ من بين شفتيها[٢]، وزيادة فى تشجيع الشباب على التقدم لخطبتها تذكر أن الكثيرين تقدموا لها، ولم يوفقوا لأنهم لم يكونوا أكفاء لها وهكذا كانت المفاوضات الأولية تجرى مع الدلالة، ورويدا رويدا تطورت الأمور، وأصبحت اسرة العريس تبعث ببعض نسائها لتسأل وتبحث وتعاين أوصاف العروس المرتجاة بدلا من الخاطبة فيذكر فكرى إياظة أنه كان يتم تحديد موعد الزيارة وتستعد العروس وتنظم نفسها وجمالها وقوامها وترتدى أبدع ثيابها وتعطر جسمها وشعرها بالروائح[٣]، وبعد أن تصل أسرة العريس وتشرب القهوة أو الشربات يتم استدعاء العروس فتقبل وهى تتهادى خجلا وتجلس بأدب واحتشام ثم يأتى دور البحث والفحص والتجريب[٤]، فتشرع أم العريس أو إحدى قريباته فى الحديث مع العروس، وخلال ذلك تحدق فى أسنانها لترى إن كانت عيوب أو كسور من ناحية التناسق واللون، ومن الحديث تستنتج خفة الروح أو ثقل الدم، وتعرف نوع الصوت إن كان ناعما أو خشنا أو غليظا[٥]، وقد تخرج إحدى قريبات العريس سيجارتها وتطلب من العروس برفق أن تشعل عود الكبريت فتتقدم لتلمح قوامها وقدها، ثم تطلب منها الاقتراب لتشعل عودا آخر، كى تتسع لها الفرصة لتحدق فى عينيها عن قرب، وربما تطبطب على صدرها لتلمس ثدييها ببراعة

---

(١) ادوارد لين: المرجع السابق، ص ١٠٠.
(٢) محمد عمر: حاضر المصريين أوسر تأخرهم، ص ٢٠٥.
(٣) فكرى اباظة: الضاحك الباكى، ص ١٤٧.
(٤) محمد جبريل: مصر فى قصص كتابها المعاصرين، ص ٣١٦.
(٥) فكرى اباظة: المرجع السابق، ص ١٤٩.

وأحكام[١]، ثم يتم إبلاغ العريس بالتفاصيل بعد ذلك، فإذا اقتنع بما سمعه تقدم للزواج من غير أن ينظرها، ويعرف شكلها وطباعها وأخلاقها وانما ذلك كله بعد الزفاف.[٢]

وبالرغم من كل هذه الاحتياطات فقد كان العريس ينخدع احيانا بالأوصاف التى تنقل له عن العروس، ومن الأمثلة على ذلك قصة زواج شاعر النيل حافظ إبراهيم فعلى الرغم من اختيار زوجة خاله للعروس وتصديقه للأوصاف التى خلعتها على عروسه المقبلة واستسلامه لمراسم عقد الزواج فقد أحس حافظ بفجيعته فى نفسه عندما تطلع إلى عروسه، ولم يرقه منظرها، بل أوجد أنفها الضخم رهبة فى نفسه مما جعله يخفق فى تجربة الحياة الزوجية، ولم يعد إلى تجربة الزواج طيلة حياته.[٣]

ومعنى ذلك أن الخاطبة أو الأسرة هى التى كانت تختار العروس ولم يكن لأى من الخطيبين رأى فى إتمام ما يحدث، فلا العريس رأى العروس قبل أن يخطبها ولا هى رأته أو كلمته قبل ذلك بل كانا غالبا لا يعرفان شيئا عن بعضهما إلا ما ترويه الخاطبة أو الأسرة فقط خاصة وأن الانفصال الحديدى بين الجنسين كان يحيط الفتاة بالغموض فهى تحت حجابها الذى يغطى جمال وجهها أو قبحه لا يراها العريس إلى أن تصبح فى حوزته مما أوجد فى العديد من الأحيان حدوث نفور بين الزوجين عند مكاشفة بعضهما للبعض فى ليلة الزفاف[٤]، خاصة عندما يصاب الرجل بخيبة أمل فى رؤية الجمال المنتظر فى فتاة أحلامه فيجدها عكس ذلك مما زاد من عملية تعدد الزوجات.

وعلى أى حال فقبل أن توافق أسرة العروس على خطبة ابنتهم للعريس المنتظر كانت تتم التحريات عنه، وعن أسرته وسلوكه وماليته وغير ذلك، وربما يسألون عنه فى قسم الشرطة التابع له . وقد تستمر التحريات ثلاثة أشهر أو يزيد حتى يصدر القرار بالموافقة ثم يجئ دور الكلام عن المهر والشبكة وإذا وافق الطرفان على شروط بعضهما يسمح للخطيب بالتردد على منزل أسرة العروس، ومقابلة رب الأسرة وزوجته، وتقديم الدبلة والشبكة وسط إجراءات ورسميات ومراسيم.

ونتيجة للتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى طرأت على مصر خلال السنوات الأخيرة وفى غمار الحراك الاجتماعى السريع الذى طرأ على المجتمع المصرى بدأت الأمور تتغير[٥]، فقد تلاشت هذه الصور تدريجيا، فالعصر الحالى الذى نعيشه يشهد

---

(1))نفسه، ص ١٤٩.
(2))عامر العقاد: أحمد أمين حياته وأدبه، ص ص ٤٠- ٤١.
(3))محمد كامل جمعه: حافظ إبراهيم ، ص ص ٥١- ٥٢.
(4))احمد شفيق. مذكراتى فى نصف قرن، جـ١، ص ٧٣.
(5))جلال أمين: ماذا حدث للمصريين- تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن ١٩٤٥- ١٩٩٥ ، ص ٤٨.

تطورا حضاريا سريعا فى كافة مناحى الحياة، كما بدأت النواحى الاجتماعية فى مختلف مضامينها وأساليبها تصاغ صياغة جديدة، فأخذت تظهر عادات وتقاليد جديدة أدت إلى ذبول العادات والتقاليد القديمة، وخرجت المرأة إلى الحياة العامة وبدأت الارتباطات بين الآباء والأبناء تتغير وأخذت البنات تطالب بمزيد من التحرر بشكل قد لا تستسيغه عقلية الأب أو الأم ولم يعد ثمة ما يحول بين مقابلة الفتى للفتاة قبل الزواج والاتفاق على كل شئ قبل أن يعرف الأهل أى شئ ، عن هذا الاتفاق ثم تبلغ الأسرة بعد ذلك بتفاصيل ما جرى .

والسؤال المطروح هو هل كان نظام الخطبة واحد عند كافة الطبقات فى مصر؟ الواقع أن هذا النظام كان متبعا لدى الكافة فهو عند أبناء الباشوات والذوات مثله عند الطبقة الوسطى والعامة وأن دور الخاطبة كان متبعا فى أفراح أبناء الباشوات والذوات مثلما كان متبعا لدى العامة، وإلى جانب ذلك فإن عدم السماح برؤية العريس لعروسه ولا لأحد من أفراد أسرته من السيدات إلا بعد زفافها[١]، كان متبعا داخل قصور الأسرة الحاكمة، كما كان سائدا عند العامة، هذا إلى جانب أن أفراد الطبقة الراقية كانوا يفضلون الزواج المبكر والزواج من الأقارب خاصة أبناء الأعمام كما كان يفعل أفراد العامة الذين كانوا يرغبون فى ذلك بحجة التماسك الاجتماعى للأسر، وكما أنه لم يكن لبنات العامة الحق فى اختيار الزوج فإن ذلك كان متبعا لدى الأميرات إذ لم يكن لهن الحق فى اختيار ازواجهن، كما أن الزوج كان لا يختار زوجته عن عاطفة حب متبادلة أو لتوافق فى الطباع أو الأفكار[٢]، بل كانت أحيانا المنفعة هى التى تقود بعض الأسر لاختيار الزوجات يضاف إلى ذلك أن تمسك الأسر بخطبة الأبنة الكبرى قبل الصغرى إذا تقدم أحد لخطبتها كان موجودا سواء عند الأغنياء أو العامة إلى أن تغير ذلك فى الوقت الحالى.

ثانيا: مرحلة عقد القران:

يذكر لين أنه بعد أن يتم اختيار الخاطب لعروسه يذهب بعض أقاربه لمقابلة وكيل العروس، للاتفاق معه على مقدار المهر[٣]، وكثيرا ما تحدث المساومة فى تحديد المهر عند العامة خاصة المؤخر منه إلى ان يتم الاتفاق، ثم يحدد بعد ذلك عقد الزواج الذى يسمى كتب

([1]) يذكر أحمد شفيق باشا أن احدى الأسر عدلت عن الموافقة على زواجه من ابنتها بمجرد أن طلبت أمه رؤية العروس قبل خطبتها. أنظر: مذكراتى فى نصف قرن ، جـ١، ص ٧٣.

([2]) علماء الحملة الفرنسية: موسوعة وصف مصر، المصريون المحدثون، جـ١، ترجمة زهير الشايب، ص ٨٠.

([3]) اختلف مهر الثيب عن مهر الفتاة العذراء، فهو يقدر غالبا بربع مهر العذراء، أو ثلثه أو نصفه كما أنها لم تزف عند الزواج، ويكفى ان تقول المرأة لمن يتقدم لزواجها "وهبت لك نفسى" فتصبح امراته شرعا متى كانت بالغة حتى من دون شهادة . أنظر: لين: المصريون المحدثون ، ص ١١١-١١٢.

الكتاب[١]. وبعد أن يتم اجتماع المدعوين يذهب العريس مع بعض أصدقائه إلى منزل العروس ويحضر المأذون ثم يتم عقد الزواج بشهادة شاهدين، وأخذ موافقة العروس، ثم يقرأ الحاضرون الفاتحة، ويدفع العريس مقدم المهر ويعقد بعد ذلك العقد فيجلس العريس أمام وكيل العروس، ثم يمسك كل منهما يمنى الآخر ويرفع إبهامه ويضغط به على إبهام الثانى ويتولى أحد الفقهاء تلقين الطرفين صيغة العقد، فيضع على اليدين المتماسكتين منديلا[٢]، ثم يستهل العقد عادة بخطبة لا تخرج عن بعض الإرشادات والصلوات وبعض الآيات والأحاديث التى تشير إلى فضل الزواج ومزاياه، ثم يطلب من الوكيل أن يقول أزوجك ابنتى (أو موكلتى) فلانه (ويسمى العروس) العذراء البالغة إذا لم تكن قد تزوجت من قبل أو الثيب إذا كان قد تكرر زواجها بمهر قدره كذا ثم يطلب من العريس أن يقول أقبل زواجها وأخذها تحت رعايتى وأتكفل بحمايتها، وأشهدوا على ذلك أيها الحاضرون ويردد الوكيل قوله هذا على العريس مرة ثانية وثالثة فيجيبه الأخير فى كل مرة بما سبق، وحينئذ يقول كلاهما "والسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين آمين" ويعيد الحاضرون قراءة الفاتحة.

وخلال ذلك تجلس العروس فى أبهى زينتها، وخلفها الصبايا بالزغاريد تنطلق ، وقد وضعت قدميها فى وعاء به نعناع أخضر كما تضع فى فمها قطعة من السكر ثم ترسل هذه القطعة إلى الزوج ليرسل بدلا منها مبلغا من النقود هدية لعروسه دلالة على الانسجام المنتظر فى حياتهما الزوجية، كما تضع على رأسها المصحف الشريف مفتوحا على سورة يس، وزيادة فى البهجة والفرح تضرب الدفوف والطبل البلدى والمزمار وتزغرد النساء وينثر الملح على العروس خشية الحسد، ويظهر الجدعان والفتوات من أهل الحارة أمثال المعلم شلبى والأسطى حنفى وزعيط الفلاح وصغار الموظفين من أقارب العروسين أمام الشوارع والطرقات المسدودة وهو يشعلون مصابيح من الورق ويتبارون بالبنابيت والعصى (لعبة التحطيب) ويلعبون بالجريد والسيوف ويضربون البارود[٣]، ويسير بعضهم على عكاكيز حديدية مرتفعة، ويزينون رءوسهم بالريش ويتضاربون بالعصى الطويلة، بينما يجلس بعضهم القرفصاء أمام منازلهم المبنية بالطوب اللبن والصفيح أو على أقفاص من سعف النخيل حيث يتناولون المشروبات الشعبية مثل البوظة وعرق البلح ويتعاطى البعض منهم الحشيش والأدخنة وهم يستمعون إلى قصص أبى زيد الهلالى، وعنترة وإلى الأمثال العامية، كما يشاهد

---

(1) كلما كانت توجد وثيقة مكتوبة تثبت الزواج فى ذلك الوقت.

(2) يحدث أحيانا أن يخطف أحد المدعوين المنديل للاحتفاظ به وأحيانا يتمكن المأذون من أخذه.

(3) حول هذا الموضوع يمكن الرجوع إلى دار الوثائق: الداخلية عربى أوامر (١) أمر كريم بتاريخ ١٢ رمضان ١٢٧٥هـ (١٨٥٩م) وانظر ايضا دفتر انظمة ولوائح رقم ١٨٩١ ، ص ٥٤ وثيقة رقم (٩) بشأن منع ضرب البارود واللعب بالجريد والنبوت والبنادق والسيف والرمح فى الأفراح والمواسم بالقرى.

الصبية ألعاب خيال الظل والقراقوز وغيرها، وتظل النساء من فوق أسطح المنازل لمشاهدة ما يحدث وهن فرحات مستبشرات للعريس والعروس بعقد قران سعيد هذا عن مراسيم عقد القران عند العامة فماذا عند أبناء الباشوات والذوات.

الواقع أن بنات الذوات كن كبنات العامة لا يؤخذ رأيهن فى اختيار العريس المنتظر، فالفتاة تنشأ وتربى فى انتظار اليوم الذى يسلمها فيه والدها إلى كنف زوج غريب عليها فى شخصه وطريقة تفكيره[١]، أما عن الاختلاف بين افراح الذوات والعامة فينحصر فى لوازم الفرح، والأموال الفلكية التى يدفعها الذوات للمهر كرمز للمباهاة والتفاخر .

وفى حضور أمراء العائلة المالكة ونظار الحكومة وكبار العلماء والأعيان وتقديم أفخم المأكولات والمشروبات لهم واستبدال المأذون بشيخ الجامع الأزهر الذى يتهيأ لكتابة العقد فيوفد الشهود يتقدمهم الأغوات إلى باب حجرة العروس المسدول عليه ستار من الحرير الأزرق الموشى بالذهب حتى يحجب ما وراءه، ويسألوها الموافقة على الزواج من الأمير فلان أو الوجيه فلان ويرددون عليها السؤال مرات إلى أن تجيب العروس بالقبول فى تمنع وحياء. وفى أعقاب ذلك ينصرف الشهود لإبلاغ شيخ الأزهر صيغة الجواب فيبدأ فى التصديق على العقد، وبعدها ترتفع الزغاريد، وتقدم أكواب الشربات فى أقداح من الذهب، وتوزع الشيلان والحلوى والعطايا والهدايا الفاخرة على جميع الحاضرين.[٢]

ومن أبرز أفراح أنجال الباشوات التى تتردد فى التاريخ وما حدث فيها من بذخ وألعاب وفرق عسكرية تعزف العديد من الألحان وراقصون وراقصات وعروض وتمثيليات، وتوزيع مرطبات ومأكولات وكساوى وهدايا نذكر ما حدث فى أفراح إسماعيل باشا[٣]، ابن محمد على، ومحمد بيك الدفتردار على نظلة هانم ابنة الباشا[٤]، وكامل باشا[٥]، على زينب هانم صغرى بنات الوالى وشقيقة أحمد باشا ابن عم محمد على على مختار بك الذى اتم تعليمه فى باريس.[٦] وكما نذكر ما حدث خلال أفراح أنجال إسماعيل باشا الأربعة والذى عاشت مصر خلاله أيامها الأربعين فى احتفالات فخمة وإسراف اسطورى لم تر مصر مثله

([1]) صوفيا لين: حريم محمد على ، ص ١٨٦.

([2]) أحمد شفيق: مذكراتى فى نصف قرن، جـ١، ص ٧٠.

([3]) قتل فى شندى بالسودان حرقا على أثر مؤامرة دبرها له الملك نمر الذى دعاه وبطانته إلى وليمه بقصره فى شندى وكان من القش، فأجابوا دعوته وذهبوا إلى القصر ورحب بهم الملك ترحيبا عظيما، وأمر أعوانه أن يجمعوا ما استطاعوا من الحطب والقش والتبن حول القصر واشعال النار فيه. وقد حصرت النيران إسماعيل باشا وحاشيته ولم يستطيعوا الإفلات من الموت.
للتفاصيل: انظر الرافعى: عصر محمد على، ص ١٦٦- ١٦٧.

([4]) للتفاصيل أنظر: عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، جـ٤، القاهرة، المطبعة الشرقية، ١٣٢٢هـ تحت عنوان: ثم دخلت سنة تسع وعشرين مائتين والف ، ص ٢١١.

([5]) عمل باورا وسكرتيرا خاصا لمحمد على، وانعم عليه السلطان برتبة الباشوية بعد أن رشح ليكون زوجا لابنه والى مصر. انظر: صوفيا لين: حريم محمد على، ص ٢٨٠.

([6]) صوفيا لين: المرجع السابق، ص ٢٦٨- ٢٧٩.

فى عصرها الحديث، والتى ذكرت الناس بليالى ألف ليلة وليلة، وباحتفالات قطر الندى ابنة خارويه ففى حفل مهيب عقد الخديو اسماعيل قران أولاده الثلاثة وإحدى بناته فى وقت واحد إذ عقد لولى عهده توفيق على الأميرة امينة هانم بنت الهامى باشا، وللأمير حسين كامل على الأميرة عين الحياة بنت الأمير أحمد رفعت، وللأمير حسن على خديجة هانم بنت الأمير محمد على كما زوج ابنته الأميرة فاطمة الزهراء للأمير طوسون نجل محمد سعيد باشا.[١]

وإلى جانب ذلك فهناك فروق عديدة بين أفراح الباشوات والعامة ففى حين كان يدعى لإحياء افراح أبناء الباشوات كبار الموسيقيين المشهورين، ويدفع لهم المبالغ الطائلة مقابل إحيائهم لهذه الحفلات، فإن أنجال العامة كانوا لا يدفعون أجرا للموسيقيين والمهرجين والراقصين خاصة إذا كانوا من أصدقائهم أو كانت تدفع لهم النقود من الحاضرين الذين جاءوا لدفع النقوط والمساهمة فى إحياء الفرح.

وبينما كان أبناء الذوات يتفاخرون بما لديهم من مال وعقار فإن أهل العروس من العامة كانوا لا ينظرون إلى ذلك بل إلى حسن سمعة العريس وأخلاقه ودينه، ومعاملته مع الناس، كما أن أهل العريس، كانوا يفضلون البنت التى يعرفون عن أمها حسن العشرة مع زوجها تمكسا بالمثل الذى يقول إكسر البصلة وشمها تطلع البنت لأمها، "وخذ بنت الحلال ولا تأخذ بنت المال" .

وبينما كان أبناء الذوات يتفاخرون بنسبهم التركى ومصاهرة العثمانلى فإن أبناء العامة كانوا يفضلون ابن البلد على الأجنبى حتى أن بعضهم كان يغالى فى هذا فلا يزوج ابنته إلا لأحد من أبناء قريته، كما كانوا يفضلون صاحب الصنعة الذى يعيش من عرق جبينه فيقولون "الصنعة خاتم ذهب بيد صاحبها".

وبينما كان العريس من أبناء الباشوات يقدم لعروسه هدية الشبكة مرصعة بالذهب والجواهر، كما يقدم المهر الذى يتباهى به أسر الذوات فقد كان العريس من أبناء العامة يقدم ما يتلاءم مع قدراته وإمكاناته فقد تكون هديته عقدا من الخرز أو أسورة من الزجاج الملون وشيئا من الأقمشة الرخيصة التى يتخذ منها نساء الريف ثيابهن .

وبينما كانت الهدايا المقدمة لإنجال الذوات والأمراء والكبراء تمثل صورة من الحياة الطبقية الصارخة التى كانت تعيش فيها مصر فى ذلك الوقت والتى توضح التنافس الصارخ بين الثراء والترف التى يعيشه أبناء الحكام وحالات الضنك والبؤس والحرمان التى يعيشها عامة الشعب فهدايا طبقة الحكام كانت عبارة عن مجوهرات وقلائد وماس، أما هدايا الأهالى

---

(١)للتفاصيل أنظر: بحثا المعنون أفراح انجال الباشا المنشور فى مجلة الهلال، العدد سبتمبر ٢٠٢ ، ص ٥٦- ٦٥.

لأبناء جلدتهم من العامة فكانت لا تزيد عن السكر والشربات والأرز والشمع والسمن والدجاج والأوز[١].

وبينما كانت تنفق المبالغ الطائلة على الأطعمة الفاخرة التى يتناولها ضيوف أفراح الباشوات من صحون المحمر والكباب والكفتة فإن ضيوف أفراح العامة كانوا لا يتناولون سوى العدس أو البيسارة أو الفول بالإضافة إلى المش أو الجبن أو الفجل أو المخلل والجميز أما شرابهم فكان عرق البلح والبوظة، وبينما كانت الشوك والملاعق والسكاكين تستخدم فى قصور الباشوات فإن العامة كانوا لا يعرفون طريقة استخدامها، بل يجلسون القرفصاء على الأرض ويستعملون أصابعهم حيث أنها اسهل عليهم من استعمال أشياء لا يحسنون استخدامها، وبينما كانت الأميرات ومعظم المدعوات يرتدين الملابس الأفرنجية الفخمة التى جلبت خصيصا من أشهر محلات الأزياء فى أوروبا[٢]، ويلبسن القلائد الذهبية والمجوهرات المرتفعة الثمن، وينثرن العملات الذهبية والفضية على الحاضرات فإن بنات العامة كن يلبسن الملابس البلدية البسيطة وينثر عليهم الحاضرات من أقاربهن الشعير والملح لدرء عين الحسود وجلب البركة وبينما كانت أفراح أبناء الباشوات لا تقتصر على ليلة واحدة بل كانت تتعدد الليالى قبل ليلة الزفاف اقتصرت أفراح أبناء العامة فى أغلب الأحيان على ليلة واحدة أو أكثر بقليل.

وبينما كانت بنات الباشوات يحصلن على لقب الهانم (الخانم) والبرنسيسة أو الأميرة فإن بنات العامة كن يحملن غالبا أسماء حفيظة وست الدار ونفيسة، ونعناعة وخضرة، وشلبية.

وبينما سمح لبعض الأميرات أن تكون العصمة فى أيدهن، لتختار الطلاق من زوجها متى شاءت،[٣] ذلك فإنه كان من العيب على بنات العامة أو الطبقة الوسطى أن يتحدثن فى هذا الموضوع أو يفكرن فيه أو حتى يستحسن سماعه. حقيقة أن زوجة رفاعة الطهطاوى وابنه خاله كريمة الانصارى، اشترطت عليه ألا يتزوج عليها، وقد فرض رفاعة على نفسه أمام زوجته أن يبقى معها على الزوجية دون غيرها من زوجة أخرى ولا جارية أيا كانت فان تزوج بأخرى كانت زوجته طالقة بالثلاثة ولكن هذا لا يعنى أن زوجة رفاعة كان بيدها العصمة، بل كان من شروطها على زوجها ألا يقترن بغيرها.[٤]

---

(1) ادوارد وليم لين المصريون المحدثون، ص ١٠٤

(2) احمد شفيق: مذكراتى، حـ١، ص ٧٢. ٥

(3) أنظر على سبيل المثال إذن عقد زواج عطية الله هانم بنت عباس حلمى باشا محافظ اسحاق محفظة ١٤٩ ملف تراجم البراءات التركية الواردة للديوان قبل نوفمبر ١٩١٤

(4) نص عقد هذا الاتفاق كما يلى

"التزم كاتب الحرف رفاعة بنوى رافع ليست خانه بمصورية احتاجه كريمه بنت العلامة الشيخ محمد الانصارى، الأنصارى أنه يبقى معها على الزوجية دون غيرها من زوجة اخرى و جارية ايا ما كانت، وعلق عصمتها على أحد غيرها من النساء، أو تمتع بجارية اخرى فمن تزوج بزوجة اخرى ايا ما كانت، كست بنت حالته بمجرد العقد طالقة بالثلاثة" دار المحفوظات ملف رفاعه بنوى رافع المصورين وثيقة محررة بخط يده وموقعه منه ومختومة بخاتمه فى شوال ١٢٥٥هـ ومن المعروف أنه كان يمكن للمسلم أن يتزوج من اربع زوجات شرعيات بالإضافة لأى عدد من الأماء يستصيغ اطعامه وهذا التعدد كان أكثر شيوعا عند الطبقات الشعبية

تستقبلك الفرحة المصحوبة بزغرودة مجلجلة عند شرائك مستلزمات الأفراح

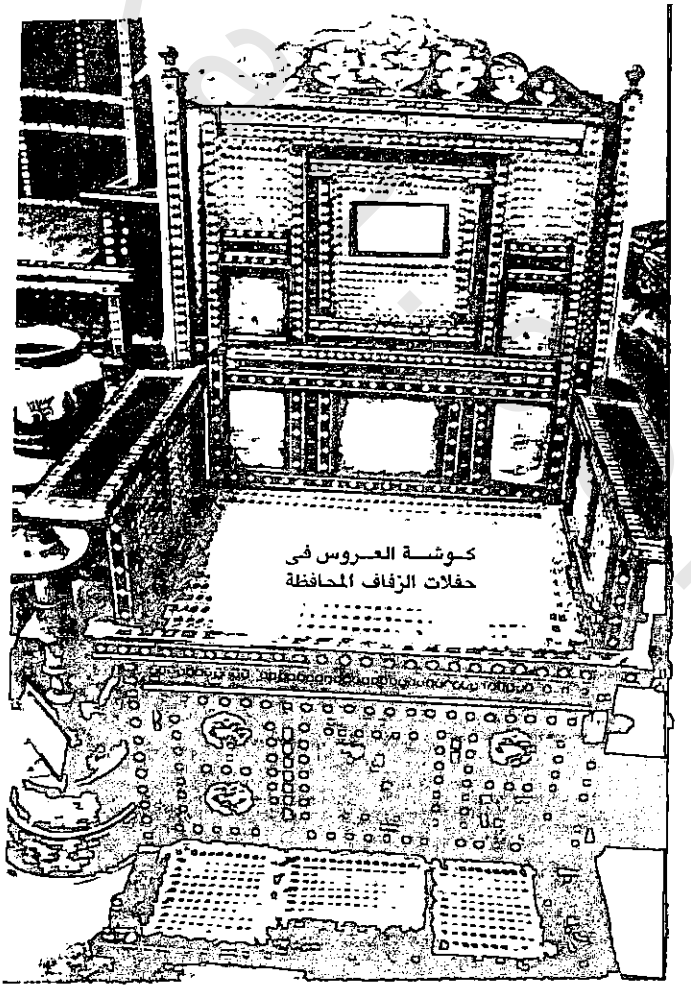

كوشة العروس فى
حفلات الزفاف المحافظة

وبينما عاشت الأميرات فى قصور فخمة بنيت لهن خصيصا فقد عاشت بنات العامة فى بيوت من الطين أو بيوت أكل منها الدهر وشرب، وسكن بعضهن الخيام، وكل جهازها كان عبارة عن صندوق للملابس وكرسى ومنضدة، وطشت وصينية وأبريق وربما لحاف ووسادتين. وهكذا يتضح لنا الفروق الطبقية الصارخة فى الزواج لدى أبناء الخاصة والعامة.

ثالثا: ليلة الدخلة:

بعد الاتفاق على موعد ليلة الدخلة ينقل الإثاث والمفروشات من بيت العروس إلى بيت العريس، كما يذهب العروس ليلة الدخلة إلى الحمام فى صحبة قريباتها وصديقاتها وهن محجبات وسط مظاهر الفرح، ويسمى ذلك زفة الحمام فيتقدم الزفة غالبا فرقة تتكون من مزمار أو مزمارين وطبول مختلفة الأنواع، وقد يتقدم حاشية العروس رجلان يحملان الأوانى والملابس التى تستعمل فى الحمام على صينيتين مستديرتين تغطيان بنسيج من الحرير، ويوجد أيضا سقاء يروى ظمأ السائرين، ورجلان آخران يحمل أحدهما قمقما مملوءا بماء الورد أو زهر البرتقال يرش منه على السائرين من وقت لآخر، ويحمل الآخر مبخرة يحرق فيها البخور.[١]

وعندما يصل الموكب فى نهاية المطاف إلى الحمام فإن العروس تستعرض على صاحباتها حليها، فتملأ المباخر بالبخور الطيب الرائحة، وتراق العطور بسخاء وتكشف صاحبات العروس عن أجمل زينتهن، وينقضى اليوم فى مرح وبهجة، وتقدم خادمات الحمام القهوة والشربات والفطائر والحلوى.[٢]

وبعد الاستحمام تعود العروس إلى منزل أهلها وتتناول مع رفيقاتها العشاء وسط جو من الطرب والأغانى، وبعد ذلك تعجن بعض الحناء، وتضع العروس قطعة من العجين فى يدها ثم تتناول النقوط من ضيفاتها، فتلصق كل منهن قطعة من النقود الذهبية عادة على تلك العجينة فتأخذها العروس، ثم تضيف بعض الحناء إلى يديها وقدميها، وتربطها بالكتان حتى الصباح فتصبغ بلون أحمر برتقالى، وتسمى هذه الليلة "ليلة الحنة". وفى نفس الوقت يقيم العريس حفلا لتسلية المدعوين.[٣]

وفى اليوم التالى تزف العروس إلى منزل العريس حيث يراها لأول مرة[٤]، وتضاء الشوارع أو الحى الذى يسكنه العريس بالمشاعل والفوانيس والقناديل الصغيرة، ويعلق بعضها

---

(١) لين : مرجع سابق، ص ١٠٤- ١٠٥.
(٢) موسوعة وصف مصر: مصدر سابق، جـ١، ص ٨٢.
(٣) لين . مرجع سابق، ص ١٠٦- ١٠٧.
(٤) ادوارد لين. المرجع السابق، ص ١٠٢.

فتاة موشومة - A Tattooed Girl

سيدة تصع المرض والصعا (اليد موشومة جزئياً بالحناء)

مطربة من القرن التاسع عشر

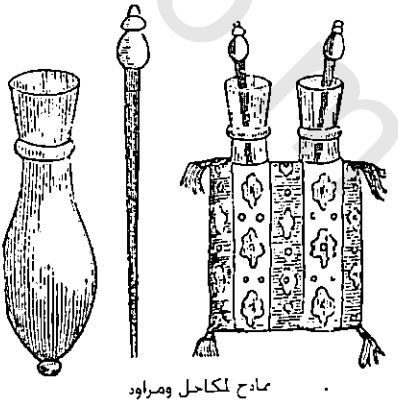

مداخ لكاحل ومراود

Muk-hul'ahs and Murawds

عين وحاجب مكحلان على الطريقة الشعبية

فى حبال تمتد من منزل العريس إلى المنازل المقابلة على جانبى الشارع وتعلق أيضا مع القناديل رايات حريرية ذات لونين أحمر وأخضر. وتؤخذ العروس إلى بيت زوجها فى العادة عند الغروب، وكثيرا ما تحمل فى هودج (تختروان) مغطى بشال كشمير، ومحمل على جملين زينت أعناقهما بقلائد حرير وأجراس مختلفة فى رقابهما، يسير أحدهما خلف الآخر[١]، وأحيانا تسير العروس على قدميها وعلى جانبها امرأتان وأطفال الجيران الذين يشاركون فى الهرج والمرج[٢]، وتصحب العروس بعض صديقاتها معها، وتطلق كثير من النساء الزغاريد وهن يسرن فى ملابسهن الزرقاء[٣] ، ويصدرن أصواتا تعبر عن فرحهن وسط ضجيج كبير من الآلاتية الذين يدقون الطبول وينفخون المزامير[٤]، وتسمى هذه الزفة "زفة العروسة" وقد يتبارز أمام الزفة فلاحان بالنبوت، كما يعرض بعض الحواة حيلهم وبعد أن تصل العروس إلى بيت الزوجية يتم غمس قدمها اليمنى ويدها اليمنى فى اللبن تفاؤلا باليمن والبركة وأن يكون مقدمها منزل الزوجية مقرونا بالخير والنماء ومن العادات الشائعة لدى البعض أيضا أن تقوم صديقات العروس غير المتزوجات اللاتى يصطحبنها بقرصها فى ركبتها اعتقادا منهن أن ذلك سوف يؤدى إلى حصولهن على زوج فى القريب العاجل كما يقوم أصدقاء العريس غير المتزوجين بقرصه بنفس الطريقة على أمل أن تكون لهم عروس مستقبلا.

أما عن العريس فكان غالبا لا يفوته الذهاب إلى الحمام بصحبة بعض أصدقائه حيث يقوم بابلاغ رغبته إلى أسطى الحمام عشية اليوم الذى يرغب أن يذهب فيه إلى هناك، فيسارع العمال بتجهيز الحمام بطريقة لائقة[٥]، وبعد ذلك كانت تقام له زفة تسمى زفة العريس حيث يلبس عادة قفطانا به خطوط حمراء وجبة حمراء ويتوجه إلى المسجد مصحوبا بفرقة طبالين وزمارين وبعض حاملى الشاعل، وبعد أداء الصلاة تعود الزفة من المسجد حيث يزف العريس بالدف وبالموشحات والأوراد كما يشرع المغنون فى الغناء ثم يعود العريس إلى غرفة عروسه حيث يراها لأول مرة ومعها البلانة وحدها فيمنح البلانة عند دخول الغرفة منحة فتنسحب فى الحال، وتترك له العروس وهى مغطية رأسها بشال لا يرفعه العريس قبل أن يهبها هبة مالية تسمى "كشف الوش"[٦]، ويقترب الزوج من زوجته المغطاه بنقابها ويسمى باسم الله[٧]، وقد يسعد العريس عندما يرى أن وجه زوجته كما وصف له، وقد يشعر بأنه قد

---

(١) نفسه، ص ١٨.
(٢) صوفيا لين. حريم محمد على ،ص ٦٣.
(٣) وسيفريد بلاكمان. الناس فى صعيد مصر – العادات والتقاليد، ص ٨١
(٤) صوفيا لين. حريم محمد على ،ص ٦٣
(٥) علماء الحملة الفرنسية. مصدر سابق، جـ١، ص ٨٤.
(٦) لين. المرجع السابق، ص ١١٠
(٧) علماء الحملة الفرنسية. مصدر سابق، جـ١، ص ٨٤

حدثت له خديعة ويحس بالفجيعة فى نفسه إذا كان الأمر غير ذلك[١]، ويكون نتيجة ذلك القطيعة التامة وذهاب الزوجة غاضبة إلى بيت أبيها.[٢]

ومن العادات المتبعة وقتذاك تقديم الدليل على بكارة الزوجات للأقارب والأصدقاء باعتبار ذلك دليلا هاما على عفة الزوجة.[٣]

والسؤال المطروح هو هل كانت هناك شروط يتم الالتزام بها من حيث حسب ونسب كل من العروسين؟

الواقع أنه من الأمور التى كانت متبعة فى حالات الزواج وقتذاك ضرورة أهلية الزوج وكفاءته الاجتماعية من ناحية النسب والوظيفة بالنسبة للزوجة وأسرتها وقصه زواج الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد ورئيس حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية من صفية السادات بنت الحسب والنسب والتى أقامت مصر وأقعدتها فى أوائل القرن العشرين، وكانت صدمة عنيفة للتقاليد الموروثة الخاصة بالبيوتات العريقة فى ذلك الوقت لخير دليل على ذلك. ومرجع ذلك أن الشيخ على يوسف ذلك الرجل العصامى أراد أن يقترن بزوجة ذات حسب ونسب، وقد هداه تفكيره إلى أن يطلب يد صفية صغرى بنات الشيخ السادات والتى رأها خلال تردده على أبيها أثناء عمله كصحفى، وعلى الرغم من موافقة صفية على هذا الزواج فقد رفضه والدها مما دفع صفية إلى الالتجاء لخالها، حيث تم عقد قرانها هناك ولما علم والدها بالأمر رفع دعوى أمام المحكمة الشرعية طالبا التفريق بين الزوجين لعدم أهلية الزوج حيث أنه لا ينتسب إلى نسب رفيع مثله، كما أنه يعمل جورنالجى وهى مهنة لم تكن موضع تقدير فى ذلك الوقت حيث يقوم كما ذكر الشيخ السادات فى صحيفة دعواه على الجاسوسية وبث الشائعات وكشف أسرار خلق الله، وبعد أن نظرت المحكمة القضية فى ٢٤ يوليو ١٩٠٤ أصدرت حكمها بالحيلولة بين الزوجين، ولكن صفية رفضت طلب المحكمة مما أدى إلى إحداث أزمة وانقسام الراى العام فى مصر إلى تسمين الأغلبية وعلى رأسهم الزعيم الوطنى مصطفى كامل وقفت ضد هذا الزواج، أما الفريق الثانى وعلى رأسه الخديو عباس الثانى فقد كان يساند الشيخ على يوسف.[٤]

---

(١) تذكر صوفيا لبيب انها سمعت ان شاذا كان قد خطب لنفسه فتاة بناء على تركية من صديق له، ثم علم بعد ذلك انها عوراء وذات منظر كئيب ولا تصلح ان تكون زوجة له، ولما حاول التأكد من ذلك طلب من اسرة العروس إرسال والدته لرؤيتها قبل الزواج فاشترطوا عليه فى نظير ذلك أن يتنازل عن أمواله واملاكه للعروس قبل أن يسمح لوالدته برؤيتها على أن تجلس فى غرفة مظلمة حتى لا يسهل على أحد معرفة إن كانت العروس تبصر بعين واحدة أو باثنتين

أنظر حريم محمد على، ص ١٤٣

(٢) علماء الحملة الفرنسية موسوعة وصف مصر، جـ١، ص ٨١

(٣) لكن يمارس هذا السلوك عامة الشعب والأقباط ام السكوات وكبار الشخصيات والذين حصلوا على قدر من التعليم فقد هجروا هذه العادة علماء الحملة الفرنسية، مصدر سابق، جـ١، ص ٨٣

(٤) لتفاصيل ذلك انظر كتابنا دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى العصر الحديث، ص ١٢٢- ١٢٥

هذا عن طقوس ليلة الدخلة لدى العامة فماذا كانت عليه عند أبناء الباشوات والذوات؟ كان يندر أن يذهب بنات الباشوات إلى الحمام العمومى قبل الزواج لوجود الحمام فى منازلهم[١]، بل كان يسبق ليلة الدخلة نقل جهاز العروس وما قدم إليها من الهدايا والأمتعة والجواهر والتحف إلى منزل العريس وسط زفة عبر الشوارع.[٢] تتقدمها جوقة موسيقية وألعاب بهلوانية وكان يتبع هؤلاء عربات المدعوين وأثنا عشر جملا على كل منها هودج مغطى بقماش قرمزى وبه مجموعة من الاعلام الصغيرة كما فى مواكب الكسوة والمحمل وكان هناك عدد من السقائين لتوزيع الماء على المتفرجين. وكانت الهدايا توضع فى أسبتة مكشوفة فوق عربات مكسوة بالقصب على مخدات من القطيفة المزركشة بالذهب والماس، هذا عدا الأوانى الذهبية والفضية وفناجين القهوة بزخرفتها الذهبية المحلاة بالجواهر وفصوص الماس والياقوت، وكان جهاز العروس يطاف به فى كل المدينة تتقدمه فرقة موسيقية[٣]، وخلال ذلك كانت الشوارع وشرفات المنازل التى يمر بها الموكب تزدحم بالأهالى والمارة للفرجة عليه ، وبالنسبة لحفل ليلة الدخلة فقد كانت العروس تزف فى بدلتها المرصعة بالماس وعلى رأسها التاج الهرمى الذى يتألق بالفصوص البراقة ويصطف الأغوات صفين، وبيد كل منهم شمعدانات ضخمة تضئ شموعها كل ما حولها، وبين هذين الصفين تسير العروس فى أبهى حلل العرس حيث تنضبط دقات الدفوف النحاسية والطبول على وقع خطواتها. وعندما تصل إلى غرفة العرش (الكوشة) تجلس على معقد عال فوق مجموعة مرتفعة من الوسائد المطرزة بالساتان الوردى تنثر وابلا من العملات الذهبية والفضية على الجموع وكذلك بارات فضية مخلوط معها شعير وملح لدرء عين الحسود[٤]، كما تظهر بعض المغنيات والراقصات وقد ارتدين ثيابا حريرية مخططة ووضعن على رءوسهن طرابيش ذات أقراص مذهبة، وازدانت ضفائرهن بالنقود المذهبة، وطليت وجوههن بالمساحيق الحمراء والزرقاء، بينما ظهر البعض الآخر وقد أسدلن على وجوههن غطاء خفيفا، وهن يسترسلن فى الرقص والغناء الجماعى الذى يتحدث عن جمال العروس ودلالها مما جعلها فريدة العصر بينما كانت الدفوف النحاسية وصاجات الأيدى والطبول تصاحبهن فى الأداء، ويسير خلف هؤلاء صفان من

---

(١) لين: المصريون المحدثون، ص ١١١.
(٢) الجبرتى: عجائب الآثار، جـ٤، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٤.
(٣) احمد شفيق: مذكراتى فى نصف قرن، جـ١، ص ٧١
(٤) صمويل لين: المرجع السابق، ص ٢٨٢

الأغوات. وهم يحملون الصناديق والسلال التى تتألق فيها الهدايا المقدمة للعروس والتى يتنافس الأمراء والأعيان وذوى الحيثات على التباهى بتقديمها.[١]

وبعد نهاية الحفل تخرج العروس من غرفة العرش وتتوجه إلى غرفتها الخصوصية مثقلة بما ترتديه من ذهب ومجوهرات تساندها أربع جوارى.. وفى عصر اليوم التالى ينتظم موكب زفافها للذهاب إلى سراى زوجها من خلال مهرجانات ضخمة يتقدمها الفرسان والموسيقات العسكرية، ويتم خلالها تزيين الحوانيت والطرق التى تمر عليها زفة العروس وهدم مساطب الدكاكين وغيرها لتوسعة الشوارع ثم رشها بالماء[٢]، كما يتنافس أصحاب الحرف فى المشاركة فى هذه المهرجانات بالتفنن فى اعداد المواكب التى يبرزون فيها أعمالهم والتى كانت بمثابة معرض متنقل يمثل الحياة الصناعية والإنتاجية فى البلاد كما تقوم الجوقات الموسيقية بعزف إلحانها، وتقديم أغانيها بينما يقوم آخرون بحمل شجيرات مزدانه بأكاليل الزهور والتيجان ومزخرفة بالشموع المضاءة، والكرات الملونة البراقة هذا إلى جانب اللوحات العريضة من النحاس المذهب المرفوعة على أقواس وخلف هؤلاء يسير المدعون من النساء المرتديات أجمل الفستانات يرددون مقاطع بعض الأغانى.

وبعد أن تصل العروس إلى بيت الزوجية، يسمح للعريس أن يرى وجه زوجته فى المساء المتأخر لأول مرة.[٣]

هذا عن طقوس الزواج عند المسلمين أما بالنسبة للأقباط فإن الأمر لا يختلف كثيرا، بل ينحصر الاختلاف فى إقامة قداس الزواج الذى يتم مساء فى الكنيسة حيث يرتدى العروس والعريس ملابس جديدة فى هذه المناسبة، ويسير الرجال إلى الكنيسة وهم حاملين الشموع والمصابيح بينما تطلق النساء الزغاريد، وبعد أن يوجه القس كلامه للعروسين ويتبادلان خاتمى الخطوبة يقوم أحد الحاضرين للتحدث لمجاملة العروسين فيقارن العروس مثلا بالقمر والعريس بالشمس، وقد يحذو آخرون حذو هذا الرجل وبعد انتهاء هذه المراسيم، تذهب العروس فى طريقها لمنزل العريس[٤].

([1]) يذكر الجبرتى فى وصف حفل زفاف نظلة هانم ما قدم لها من الهدايا والأمتعة وان هذه الهدايا كانت تعرض على أم العروس أولا فإن اعجبتها تركتها وإلا أمرت بردها قائلة هذا مقام فلانه، فتتكلف صاحبه الهدية بزيادتها مع ما يلحقها من كسر الخاطر. انظر. عجائب الآثار، جـ٤ (المحرم ١٢٢٩هـ/ ديسمبر ١٨١٣).

([2]) وصف الجبرتى حفل زفاف نظلة هانم على محمد بك الدفتردار وما قدم إليها من الهدايا والأمتعة والجواهر، كما وصف موكب زفافها فى وسط المدينة وما حدث له فقال: " اطبق الجو بالغيام وامطرت السماء مطرا غزيرا حتى تبحرت الطرق وتوحلت الأرض وابتلت الخلائق من النساء والرجال المجتمعين للفرجة.. وتكدرت طباعهم وانتقضت أوضاعهم وزادت وساوسهم وتلفت ملابسهم... ولم تصل العروس إلى دارها إلا قبيل دنو الشمس من غروبها. انظر عجائب الآثار، جـ٤، ص ٢١٥.

([3]) أكدت ذلك صوفيا لين التى حضرت زفاف زينب هانم ابنه محمد على على كامل باشا فذكرت ان العريس لم ير وجه عروسه إلا فى المساء المتأخر وانه بعد أن أزاح الحجاب عن وجه عروسه تفهقر إلى الوراء يمعن النظر فيها مدة دقيقة حيث كن يتهيأ لتأملها لأول مرة. انظر: حريم محمد على، ص ٣٢١.

([4]) وينيفريد بلاكمان: المرجع السابق، ص ٨٢- ٨٣.

وبالنسبة لزواج اليهود المصريين فقد جرت العادة على تزويج الفتاة فى سن مبكرة، وكانت عملية الارتباط بين الرجل والمرأة تمر بثلاث مراحل هى التعارف والخطوبة ثم الزواج، وخلال فترة التعارف كان والد العروس يعقد ولائم ضخمة، وكان يتم فى إطار ذلك التوقيع على السند الخاص بمرحلة التعارف، وعقب ذلك الحفل كان يحق للعريس أن يلتقى مع الفتاة المتعارف عليها فى أوقات متقاربة، وبالنسبة للخطوبة فكان يلزمها توافر ثلاثة شروط هى أن تتم بموافقة الحاخام وفى حضور عشرة أشخاص يكون من بينهم كاتب المحكمة أو أحد الفقهاء، وأن يتم التوقيع على وثيقة الخطوبة أما عن أهم شروط عقد الزواج فقد تضمنت عدم اقتران الزوج بأمرأة أخرى إلا بموافقة زوجته الأولى[١]، والتزام الزوج بالانفاق على زوجته، وألا يحق له التمتع بمكاسب زوجته وكان المهر الذى يدفعه العريس لعروسه يدون فى عقد الزواج، وكانت مراسم الزواج تصاحب عادة بعقد الولائم الضخمة، وإقامة الاحتفالات الراقصة.[٢]

إن معظم هذه العادات قد تغييرت تقريبا فى غمار الحراك الاجتماعى الذى طرأ على المجتمع المصرى، فأصبحت الفتاة هى التى تختار عريسها أو توافق عليه، وأصبحت تتمرد على محاولة الأهل تزويجها بقريب منها، وترفض بإصرار الزواج على الطريقة التقليدية، لأنها بما اكتسبته من التعليم والخبرة والتفتح العلمى والثقة بالنفس أصبحت لديها الجرأة على التعبير عن مشاعرها الحقيقية، كما أصبحت مؤهلة لزواج يحقق لها الصعود فى السلم الاجتماعى. يضاف إلى ذلك أن نظرة الفتاة وأسرتها فى اختيار العريس قد تغيرت فبعد أن كان يفضل أن يكون موظفا فى وظيفة ميرى (أى حكومية) حتى تضمن لأسرته معيشة مستقرة ومركزا اجتماعيا مرموقا تطبيقا للمثل المصرى القائل : "إن فاتك الميرى اتمرغ فى ترابه" أصبح العريس المنشود بين الفتيات حاليا هو الذى يملك شقة وسيارة وأموالا ويكون شخص "نيولوك" New Look ولا يهم أن كان يعمل فى مهنة حكومية أو غير حكومية أو كان قد نال قسطا من التعليم أم لا.

هذا عن مواصفات العروس فى اختيار شريك حياتها أما عن العريس فبعد أن كان يفضل الفتاة التى لا تبرح بيتها، وتكون مسئولة عن تنسيق البيت حتى يعود من عمله فيجده مرتبا نظيفا، وتهتم بتربية أطفالها والعناية بهم وتوهبه جوا منزليا هادئا يستقر إليه، وسنين عسل يتجلى خلالها معدنها الأصيل أصبح همه الأكبر هو أن تكون عاملة تشاركه فى

---

(١) يعقوب [illegible] اليهود فى مصر فى الفترة العثمانية ١٥١٧ - ١٩١٤ ترجمة جميل الرفاعى وأحمد حماد، ص ٣٠٥

(٢) [illegible] اليهود [illegible] ١٩٢٢ - ١٩٩١، رسالة ماجستير غير منشورة، [illegible] أسيوط ٢٠٠٢، ص ٢٠١ - ٣١

مصاريف المنزل وفى أعباء المعيشة وأن يكون راتبها مقبولا يضاف إلى ذلك أنه بالنسبة لعادات أحياء الأفراح فبعد أن كانت الأسر الغنية تحى أفراح انجالها فى منزلها بحفلات تحييها أم كلثوم أو عبد الوهاب يصر حديثو الثراء على إحياء أفراحهم فى الهيلتون أو الشيراتون على أصوات "شعبولا" ورقصات "سنية شخلع" وأمثالها.

وهكذا تغير الذوق المصرى فى غمار الحراك الاجتماعى التى طرأ على المجتمع المصرى.

ومما سبق يتضح أن أفراح الأنجال لدى المصريين عموما كانت تمثل سواء عند الأغنياء منهم أو الفقراء مكانة هامة تبرز فيها العديد من العادات الموروثة والمستحدثة خاصة وأن البحث عن بنت الحلال الذى تسعد زوجها، وتريح قلبه، وتحفظه بحسن تدبيرها، وتكون سترا له فى الدنيا من الأمور التى تهفو إليها القلوب جميعا، وأن العصر الحاضر الذى نعيشه شهد تطورا حضاريا سريعا قلب الأمور رأسا على عقب فى كافة مناحى الحياة الاجتماعية وتغيير بعض تقاليد المصريين المتوارثة وعاداتهم، وظهور عادات جديدة، حلت مكان العادات القديمة الموروثة.

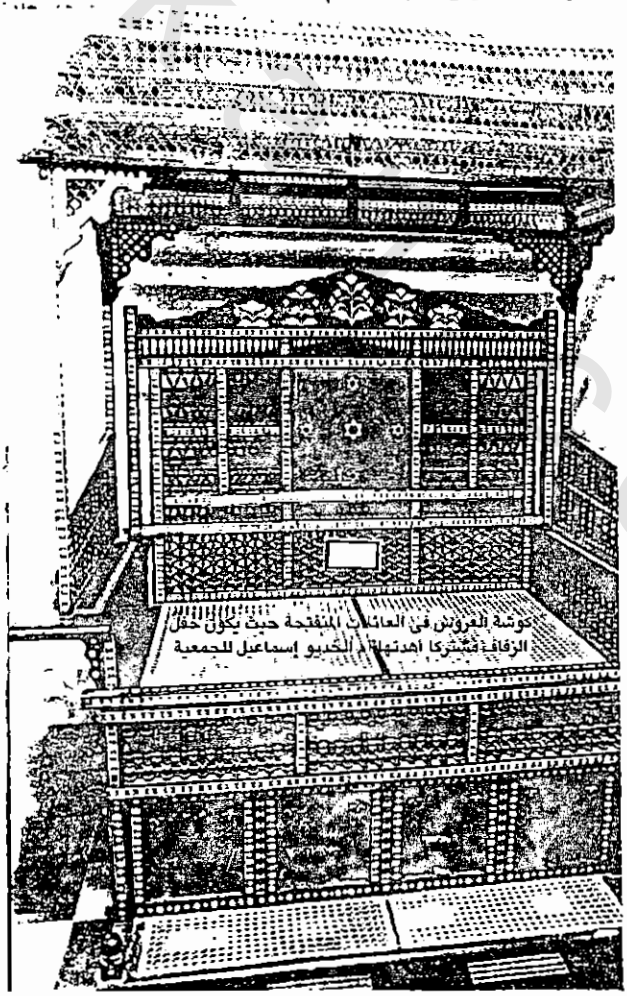

كوشة العروس فى العائلات المنفتحة حيث يكون محل الزفاف مشتركا أهدتها الخديو إسماعيل للجمعية

المطربة الناظ

المطرب عبده الحامولي

راقصة تركية

العشاء

الحالة « ج » !

● هذه الصورة لبنت البلد والعسكرى ـ صاحب الاربع شرايط ـ الذى يفتل شاربه .. نشرت لأول مرة فى « اخر ساعة » فى ٢٨ يناير ١٩٤٨ .. ومعها هذه الأبيات من الزجل تحت عنوان الحالة « ج » ..

وفيها يقول العسكرى المغرم صابه :

يا ميت مسا الفل يا نجمة بين الصورين
فداكى لربع شرايط والنمر لتنين
فداكى فى سجن طوكر اتحبس سنتين
من شيخ حارتكم ؟ واسمه ايه ؟ وسلكن فين
اشكه محضر تسترع القمر ليلتين
يا جنحة موش ساعله فى حكومة ولا ف قوانين
يا حالة « ج » ماشية تتمخطر على رجلين !

ثبت المصادر والمراجع

أولا: الوثائق:

أ-دار الوثائق القومية:

- الداخلية، عربى، أوامر (١) ١٢٧٥ هـ.
- دفتر أنظمة ولوائح رقم ١٨٩١.
- محافظ أبحاث، محفظة رقم ١٤٩ ملف تراجم البراءات التركية.

ب-دار المحفوظات العمومية:

ملف رفاعة الطهطاوى

وثيقة محررة بخطه وموقعه منه ومختومه بخاتمه بتاريخ شوال ١٢٥٥هـ.

ثانيا: المصادر والمراجع العربية:

١- أحمد شفيق: مذكراتى فى نصف قرن، جـ١، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤.

٢- أدوارد وليم لين: المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر ترجمة عدلى طاهر نور- القاهرة- الانجلو المصرية ١٩٥٠م.

٣- جلال أمين: ماذا حدث للمصريين. تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن ١٩٤٥-١٩٩٥ ، القاهرة، مكتبة الأسرة ١٩٩٩.

٤- صوفيا لين بول: حريم محمد على باشا- ترجمة عزة كراره، القاهرة، سطور، ١٩٩٩.

٥- عامر العقاد: أحمد أمين حياته وآدابه، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٧١.

٦- عبد الرحمن الجبرتى: عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، جـ٤، القاهرة، المطبعة الشرفية، ١٣٢٢هـ.

٧- عبد الرحمن الرافعى: عصر محمد على، القاهرة، دار المعارف، الطبعة السادسة ٢٠٠١م.

٨- عبد المنعم الجميعى: دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى فى العصر الحديث، القاهرة، مكتبة الصفا والمروة ١٩٩٦م.

٩- علماء الحملة الفرنسية: موسوعة تاريخ مصر- المصريون المحدثون ، جـ١، ترجمة زهير الشايب، القاهرة، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م.

obeikan.com

١٠- فكرى أباظة: الضاحك الباكى، القاهرة، دار الهلال، ١٩٣٣.

١١- محمد جبريل: مصر فى قصص كتابها المعاصرين، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٧٢.

١٢- محمد عمر: حاضر المصريين أوسر تأخرهم، القاهرة، مطبعة المقتطف ، ١٩٠٢م.

١٣- محمد كامل جمعه: حافظ إبراهيم ، القاهرة، ١٩٥٨.

١٤- وينيفريد بلاكمان: الناس فى صعيد مصر- العادات والتقاليد- ترجمة أحمد محمود، القاهرة، عين للدراسات والنشر، ٢٠٠٠م.

١٥- يعقوب لانداو وآخرون: تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية ١٥١٧- ١٩١٤ ترجمة جمال الرفاعى وأحمد حماد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.

ثالثا: المصادر الأجنبية:

- Lane/ Edward: The Manners and Customs of Modern Egyptians , London, 1923.

رابعا: رسائل جامعية غير منشورة:

- رشاد رمضان عبد السلام، النشاط اليهودى فى مصر ١٨٩٧- ١٩٢٢ رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة أسيوط، ٢٠٠٢.

خامسا: الدوريات:

- الهلال عدد سبتمبر ٢٠٠٢.